

مؤتمر مكة المكرمة الثامن  
[الخطاب الإسلامي  
وإشكاليات العصر]

٥-٧ ذي الحجة/١٤٢٨هـ  
١٥-١٧ ديسمبر/٢٠٠٧م

بحث بعنوان :

[موقف الآخرين من الخطاب الإسلامي]  
(( الأسباب والعلاج ))

إعداد :

أ.د. صالح بن عبد الله بن حميد

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين  
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فإن من القضايا التي تشغل بال المسلم الواعي بطبيعة هذا العصر وبما تمر به  
الأمة الإسلامية من أزمات وما يحيط بها من تحديات؛ قضية الخطاب .  
ذاك أن الخطاب هو سبيل التبليغ والتواصل والتحاور بين أبناء الأمة وبينهم  
وبين الآخرين ، وهذا السبيل هو معيار مقدرة الأمة على ممارسة ذلك التبليغ  
والتواصل والتحاور ، وعلى إحلالها نفسها المكانة اللائقة بها ، وما يتبع ذلك من  
نجاحها أو فشلها في إقناع الآخرين بمواقفها وطروحاتها في مختلف القضايا .  
وإنها لفترة موفقة من لدن رابطة العالم الإسلامي أن تخصص مؤتمر مكة المكرمة  
في سنته الثامنة هذا العام ١٤٢٨ هـ لموضوع (الخطاب الإسلامي وإشكاليات العصر)  
من خلال عدد من المحاور المهمة .

هذا والمواقف غير المتجاوبة مع الخطاب الإسلامي وبخاصة المواقف الصادرة  
عن الآخر غير المسلم تعد أحد أبرز الإشكاليات التي يواجهها الخطاب الإسلامي في  
العصر الراهن .

وتسعى هذه الورقة الموسومة بـ (موقف الآخرين من الخطاب الإسلامي :  
الأسباب والعلاج) إلى البحث في أسباب هذا الإشكال وسبل علاجه .  
وقد جاءت في تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي :

- التمهيد .

- المبحث الأول : الإطار النظري للدراسة : وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : المقصود بالخطاب الإسلامي .

المطلب الثاني : المقصود بالآخر هنا .

المطلب الثالث : ماهية هذا الموقف .

المطلب الرابع : لماذا البحث في هذا الموقف ؟ .

- المبحث الثاني : الأسباب : وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأسباب ذات الصلة بالخطاب الإسلامي .

المطلب الثاني : الأسباب ذات الصلة بالآخر .

المطلب الثالث : الأسباب ذات الصلة بعوامل أخرى .

- المبحث الثالث : العلاج : وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الرؤى ذات الصلة بالخطاب الإسلامي .

المطلب الثاني : الرؤى ذات الصلة بالآخر .

- الخاتمة .

أسأل الله - تعالى - أن يجعل هذا العمل خالصاً صواباً ، كما أسأله - سبحانه -

أن يسدد الخطى ويجعل التوفيق حليف الجميع ، إنه سميع مجيب .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

## التمهيد

لقد بين القرآن الكريم موقف الآخر غير المسلم تجاه الإسلام وأهله ، وقد جاء هذا الإخبار واضحاً وصريحاً في قول الله - تبارك وتعالى - : (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (البقرة: من الآية ١٢٠)، وقوله - جل شأنه - موضحاً لنا موقف الآخرين منا : (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) (البقرة: من الآية ٢١٧) ، وقال سبحانه : (وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً) (النساء: من الآية ٨٩) .

بيد أن القرآن الذي حدد لنا طبيعة موقف الآخر غير المسلم من الإسلام والمسلمين هو نفسه الذي يقرر - من جهة أخرى - قاعدة راسخة من قواعد صرف الفساد عن الأرض وأهلها تلکم هي قاعدة التدافع والتفاعل بين الناس وفي هذا يقول الله - تعالى - : (وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: من الآية ٢٥١)، ويقول سبحانه : (وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) (الحج: من الآية ٤٠) .

كما يقرر القرآن مبدأ المبادرة نحو الآخر من أجل الحوار حيث يقول - سبحانه - : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (آل عمران: من الآية ٦٤)، ويعلمنا - سبحانه - آداب الحوار مع الآخر فيقول - تعالى - : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (العنكبوت: من الآية ٤٦) .

إن القناعة لا تمنع الحوار كما أن الحوار لا يلغي القناعة ، والقناعة تتغير إذا لم توافق الحق عند المخلص طالب الحق .

## **المبحث الأول : الإطار النظري للدراسة :**

### **المطلب الأول : المقصود بالخطاب الإسلامي :**

يعد مصطلح (الخطاب الإسلامي) مصطلحاً جديداً على الأدبيات الإسلامية – نسبياً – وبالتالي لا يسهل العثور على تعريف محدد لهذا المصطلح ، هذا من جانب .

ومن جانب آخر يلحظ الباحث أن ثمة إشكالاً ظاهراً لدى كثير من المهتمين بـ(الخطاب الإسلامي) حدا بهم إلى تجاوز الحديث عن ماهية الخطاب الإسلامي إلى الحديث عن واقعه ومشكلاته دون الإشارة إلى أي تصور أو تحديد لهذا الخطاب وحقيقته .

#### **وإشكالية عدم تحرير هذا المصطلح تعود – فيما يظهر – إلى أمرين :**

**الأول :** إن الخطاب قد يراد به الكلام نفسه ؛ أي : المضمون والمحتوى ، وقد يراد به الطريقة التي يؤدي بها الكلام .

**الثاني :** التداخل المخل – لدى البعض – بين مفاهيم الثابت والمتغير في الشريعة .  
وأحسب أن هذه الإشكالية تزول إذا ما فرقنا بين (الخطاب الإسلامي) و(خطاب الإسلام) .

فـ(الخطاب الإسلامي) هو نتاج الجهود الفكرية التي يبذلها المسلمون لربط الحياة البشرية بتغيراتها المتجددة بالوحي الإلهي لتظل هذه الحياة جامعة بين ثوابت الدين ومتغيرات كل عصر فتكون بذلك مناسبة للمسار الحضاري في عصرها الذي توجد فيه من جهة أخرى .

أما (خطاب الإسلام) فهو الوحي الإلهي ( القرآن الكريم والسنة المطهرة للرسول صلى الله عليه وسلم ) وهو المحفوظ من التغيير والتبديل .  
وعليه فإن (الخطاب الإسلامي) قابل للتجاوز الزمني ، بمعنى أن يصبح ما هو خطاب صالح في عصر خطاباً غير صالح في عصر آخر ، أما (خطاب الإسلام) فهو ثابت محفوظ .

**وفي ضوء ذلك يمكن إيراد تعريفين للخطاب الإسلامي :**

أحدهما : للأستاذ وسام فؤاد ، وفيه يقول :

" الخطاب الإسلامي ... هو الخطاب الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول دين الإسلام ؛ القرآن والسنة وأي من سائر الفروع الإسلامية الأخرى ، سواء أكان منتج الخطاب جماعة إسلامية أم مؤسسة دعوية رسمية أو غير رسمية أو أفراداً متفرقين جمعهم الاستناد للدين وأصوله كمرجعية لرؤاهم وأطروحاتهم ، لإدارة الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمؤسسية والثقافية التي يحيونها ، أو للتعاطي مع دوائر الهويات القطرية أو الأقليمية أو دوائر الحركة الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها " <sup>١</sup> .

وهو تعريف وإن لم يكن متمشياً مع ما عليه أهل الصنعة في التعريفات والضوابط ولكنه يفيد في تصوير المراد من مفهوم الخطاب والمراد منه سواء فيمن يصدر منهم أو في مضامين هذا الخطاب ومجالاته .

والتعريف الآخر : للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الزبيدي ، وفيه يقول :

" الخطاب الإسلامي ... هو الفكر الإسلامي في منظومته المتعلقة بجوانب الوجود والكون والإنسان والتاريخ خاصة في صلتها بالحياة الراهنة ، يضاف إلى ذلك الصيغ التي يوصل بها هذا الفكر مضامينه للناس " <sup>٢</sup> .

ولعل التعريف الثاني أقرب إلى ما نحن بصدد الحديث عنه إذ ليس القصد وضع تعريف جامع مانع وإنما الوقوف على تصور عام للخطاب الإسلامي وبخاصة في ظل ما تقرر في مطلع هذا المطلب .

كما أن الأمر يبقى في دائرة الاصطلاح والاصطلاح لا مشاحة فيه بعد فهم

المعنى .

<sup>١</sup> الخطاب الإسلامي ( الماهية ودلالات التجديد ) ، وسام فؤاد ، موقع الجزيرة الإلكتروني (مقال).  
<sup>٢</sup> الخطاب الإسلامي ، أ.د/ عبدالرحمن الزبيدي ، صحيفة الرياض السعودية العدد ١٣٣٢١ - الجمعة ١٠/٢٨/١٤٢٥هـ.

## المطلب الثاني : المقصود بالآخر هنا :

يعطي تعبير ( الآخر ) مفهوماً واسعاً يتسع مدلوله لكل ما هو غير الذات ، بيد أن الاستعمال الشائع لهذا اللفظ يراد به غير المسلم<sup>1</sup> .  
وعليه فإن اهتمام هذه الورقة سيقصر على تناول الأسباب التي تقف خلف موقف الآخرين من الخطاب الإسلامي ، بالمعنى المحدد للآخر وهو غير المسلم ، واقتراح ما يمكن أن يكون مناسباً في علاجها.  
وحرى بالقول أن الآخر هنا هو حقيقة لطرف غير متعرض للعداوة أو ضدها، بل هو مفهوم يتسع مدلوله ليعبر عن كل ما هو غير الذات كما سلف.

---

<sup>1</sup> انظر : التعامل مع الآخر (شواهد تاريخية من الحضارة الإسلامية) ، أ.د/ إبراهيم بن محمد المزيني، ص ١٨ ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ ، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني.

## المطلب الثالث : ماهية الموقف :

يقصد بالموقف - في سياق هذه الورقة - : الموقف غير المتجاوب أو الموقف السلبي من الخطاب الإسلامي ، إذ إن هذا النوع من المواقف هو الذي يستدعي البحث في أسبابه واقتراح ما يلائم لعلاجها من رؤى وأفكار ، أما المواقف الإيجابية أو الموالية للخطاب الإسلامي أو المتقبلة له أو المتسامحة معه فليس فيها ما يشكل والحديث عن الأسباب والعلاج مفروض - بدهاءة - عند وجود الإشكال .

ومن مظاهر الموقف غير المتجاوب مع الخطاب الإسلامي والتي طال تأثيرها :

١- ما نشر في صحيفة (يولاندر بوسطن ) الدانماركية من رسوم مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم وتصويره بأنه إرهابي ، ليس هذا فحسب بل أجرت الصحيفة نفسها مسابقة بين قرائها لاختيار أكثر الرسوم تعبيراً عن إرهاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢- ما نشرته صحيفة ( نيريكس اليندا ) السويدية من رسوم كاريكاتيرية مشينة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قبل الرسام السويدي (لارس فيلكس).

٣- المحاضرة التي ألقاها البابا بندكت السادس عشر في جامعة ويجنز بورج اللاهوتية بألمانيا يوم السادس عشر من سبتمبر عام ٢٠٠٦ م ، وقال في سياقها: إن المسيحية تركز على مبادئ العقل والحب في حين انتشر الإسلام بحد السيف مما يفسر الطابع العنيف للإسلام.



## المطلب الرابع : لماذا البحث في هذا الموقف ؟ :

تقرر فيما سبق أن الموقف الذي تبحث فيه هذه الورقة هو : الموقف غير المتجاوب مع الخطاب الإسلامي ، وهنا يحسن التساؤل : ما الداعي لدراسة هذا الموقف والبحث فيه وهو يسلك مسلك الرفض والخصومة ، لاسيما وفي الساحة مواقف أخرى تميل إلى قبول الخطاب الإسلامي أو التعاطف معه ؟.

وللإجابة على هذا السؤال يقال : إن ثمة أسساً يمكن الاستناد إليها في بيان الداعي لدراسة مثل هذه المواقف منها - على سبيل المثال لا الحصر - :

أولاً : شمولية دين الإسلام وعموم رسالته للبشر كافة ، قال الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (سبأ: من الآية ٢٨) ، وعليه فالمسلمون مطالبون بتبليغ هذا الخطاب إلى الجميع أيّاً كانت مواقفهم ولا ضير أن يجابه هذا الخطاب بالرفض أو العداة : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (هود: من الآية ١١٨-١١٩).

ثانياً : الآخر في واقع الحضارة يعد شريكاً في الحضارة - في حال من الأحوال - تربطه بها قضايا مشتركة ومصالح متبادلة ، ومن أوجه هذه الشراكة ما يأتي :

١- وحدة الأصل البشري ، فقد أعلن الإسلام وحدة البشر حيث تجمعهم أخوة النسب الذي يرجعون فيه إلى أبيهم آدم -عليه السلام-، قال الله -تعالى- : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١)، فالناس جميعاً هم أبناء تلك العائلة الإنسانية.

٢- الكرامة الإنسانية التي يستحقها الإنسان بوصفه إنساناً ، فقد قرر الإسلام كرامة الإنسان لكونه آدمياً أيّاً كان جنسه أو دينه أو لونه ، قال الله - تعالى - : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الاسراء: ٧٠)، فالآخرون الذين لم ينتسبوا للإسلام هم بشر لهم حق الكرامة الإنسانية .

٣- التعارف والتواصل والتعاون على الحق ونفع الإنسانية وعمارة الأرض ، قال الله تعالى - : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: من الآية ١٣) ، وقال - تعالى - : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (المائدة: من الآية ٢)، وقد شهد التاريخ أمثلة للتبادل الثقافي والتعاون بين المسلمين وغيرهم، حيث تعامل المسلمون في حضارتهم وتاريخهم مع ما سبقهم من حضارات واستخدموا وطوروا كثيراً من الخصائص التي شكلت أساس الحضارة المعاصرة.

٤- القيم الخلقية عدلاً وبراً وإحساناً ووفاءً ورحمةً وتسامحاً وإبائاً للظلم والغدر والعدوان ، على حد قوله سبحانه : ( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المتحنة: ٨).

ويحسن التأكيد - هنا - على أن التعامل مع الآخر والنظر في موقفه لا يتعارض مع ما هو متقرر في أصول دين الإسلام من الولاء والبراء ، والاعتزاز بالدين بل إنه يقوى به ويشتد وتزداد به صور الثقة والاعتزاز ، فثمة فرق واضح بين التعامل والتعايش أو تبادل المصالح وبين الاستلاب أو الانسلاخ ، بل إن المنهج السليم يقضي بفهم ذلك الآخر والتعامل معه وفق منطق الاعتزاز والثقة بالحق دون تذبذب في الرؤية أو انحراف في الهدف.

## المبحث الثاني : الأسباب :

### المطلب الأول : الأسباب ذات الصلة بالخطاب الإسلامي :

يلحظ المتأمل في واقع الخطاب الإسلامي - اليوم - أنه يعاني هنات أفرزت لدى الآخرين رفضاً لهذا الخطاب أو تحسناً منه .

وليست الورقة بصدد الحديث عن هذا الواقع فقد خصص له ما يناقشه من محاور هذا المؤتمر المبارك غير أنه يحسن إيراد بعض الأسباب ذات الأثر في تكوين موقف الآخرين من الخطاب الإسلامي ، فمن ذلك :

**أولاً :** النقص الظاهر في منهجية التواصل المعرفي مع الآخر أو ما يمكن أن نسميه أدبيات توصيل الخطاب ، فليس كافياً أن يكون المضمون والمحتوى حقاً أو صدقاً ، بل ينبغي كذلك أن يكون أدائه بطريقة مناسبة للمقام ومراعية للحال ومتناسبة مع الوضع المتجهة إليه إنسانياً ونفسياً ومادياً وفكرياً .

ويظهر أثر هذا النقص في أن كثيراً من المواقف غير المتجاوبة مع الخطاب الإسلامي من قبل عدد من الأطراف وفي مقدمتها الآخر غير المسلم ليست - عند التأمل - ناتجة عن رفض مطلق لما يحمله من حق وصدق وإنما نفوراً أو استياءً من أدبيات التوصيل .

**ثانياً :** الضعف الذي يعيشه الخطاب الإسلامي المعاصر ، والذي يعود - فيما يبدو - إلى سببين رئيسيين :

١- البعد عن العمل المؤسسي المنظم ، فغالب ما تشهده الساحة - اليوم - هو نتاج اجتهادات فردية تفتقد التنسيق وتبني المشروعات الطموحة .

٢- عدم مواكبة ما يستجد من قضايا وبخاصة القضايا ذات الشأن العالمي ، والاكتفاء في هذا الصدد بردود الأفعال ، الأمر الذي أفرز خطاباً ذا أسلوب إنشائي عاطفي لا يؤثر في تحريك القناعات وتغيير الرؤى لدى الآخرين .

**ثالثاً :** الانفرادية التي يعانيها الخطاب الإسلامي ، والتي يمكن إرجاعها إلى أمرين :

١- الانحصار في دوائر جغرافية محددة وضيقة .

٢- التعامل بلغة واحدة ، إذ يلحظ المتابع لمسار الخطاب الإسلامي أن ثمة نمطاً من هذا الخطاب يجمع أو يحصر أزمة الأمة في الواقع السياسي الذي تعيشه فهو لا يمارس إلا هذه اللغة ويجعل من ذلك الواقع قضية القضايا ، يقابل ذلك نمط آخر من الخطاب الإسلامي لا يخاطب إلا فئة قد تكون دينية أو غير دينية إلى الحد الذي أضحت فيه بعض المجتمعات الإسلامية تعيش حالة من الانقسام والصراع الشعوري .

**رابعاً :** الخلاف ؛ العلاقات والخصومات الداخلية بين فئات الأمة الإسلامية من أهم الأسباب التي أسهمت في تكوين المواقف غير المتجاوبة مع الخطاب الإسلامي لدى الآخرين ، وذلك من خلال ما أفضت إليه من اشتغال بافتعال الفتن والخلافات الداخلية، وتجاهل لأولويات القضايا ، وتغييب لروح النقد الهادف البناء ، واستنزاف للجهود والطاقات والقدرات ، الأمر الذي أدى -بدوره- إلى إضعاف صورة الخطاب الإسلامي لدى الآخرين وإفقاده القدرة على التأثير والإقناع والقبول في كثير من الأحيان.

## المطلب الثاني : الأسباب : ذات الصلة بالآخر :

إن القراءة في التاريخ الحضاري تكشف عن جملة من الأسباب التي كان منبعها الآخر نفسه والتي وقفت بشكل كبير وواضح خلف صياغة المواقف والرؤى غير المتجاوبة مع الخطاب الإسلامي .  
وأبرز تلك الأسباب بإجمال هي :  
أولاً : الموروث التاريخي .  
ثانياً : الاستشراق .  
ثالثاً : التنصير .  
رابعاً : الإعلام .  
خامساً : المناهج التعليمية .  
سادساً : توظيف المصطلحات في الصراع الحضاري .  
وفيما يلي بسط للحديث في هذه الأسباب .

### أولاً : الموروث التاريخي :

إن لدى الآخر إرثاً تاريخياً عماده الصدام والتعارض مع الإسلام وجميع ما يتصل به ، ويضطلع هذا الموروث التاريخي بكفل في إيجاد موقف غير متجاوب مع الخطاب الإسلامي وهو ما شهد به الآخر نفسه ؛ يقول الدكتور/ جو ستاف لوبون - في دراسته عن الحضارة العربية - : " لعل القارئ يتساءل : لماذا ينكر العلماء في هذه الظروف تأثير العرب ، وقد كان أولى بهم أن يتنزهوا عن اعتبارات التفرقة الدينية؟ الحق أن استقلال آرائنا وتجردها ظاهري أكثر من أن يكون واقعياً ، وأننا لا نكون البتة أحراراً في تفكيرنا - كما ينبغي - حيال بعض الموضوعات ، فلقد تجمعت العقد الموروثة ؛ عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله ، وتراكمت خلال قرون سحيقة ، حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي " <sup>1</sup> .

وبقراءة فاحصة فإن هذا الإرث التاريخي يرجع في نشأته إلى سببين هما :

### الأول : الحروب الصليبية :

<sup>1</sup> وجهة العالم الإسلامي ، مالك بن نبي ، ص ٤٤ ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر .

يقول محمد أسد - في كتابه الإسلام على مفترق الطرق - : "إن الحروب الصليبية هي التي صنعت في المقام الأول والمقام الأهم موقف أوربة من الإسلام لبضعة قرون تتلو ، ولقد كانت الحروب الصليبية في ذلك حاسمة لأنها حدثت في أثناء طفولة أوربة ، في العهد الذي كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تعرض نفسها وكانت لا تزال في طور تشكلها ، والشعوب كالأفراد إذا اعتبرنا أن المؤثرات العنيفة التي تحدث في أوائل الطفولة تظل مستمرة ظاهراً أو باطناً مدى الحياة التالية ، وتظل تلك المؤثرات محفورة حفرًا عميقاً حتى إنه لا يمكن للتجارب العقلية في الدور المتأخر من الحياة والمتسم بالتفكير أكثر من اتسامه بالعاطفة أن تمحوها إلا بصعوبة ثم يندر أن تزيلها تماماً ، وهكذا كان شأن الحروب الصليبية فإنها أحدثت أثراً من أعمق الآثار وأبقاها في نفسية الشعب الأوربي " <sup>١</sup> .

الثاني : الترجمات المحرفة للقرآن الكريم :

في أعقاب سقوط مدينة طليطلة الأندلسية وخروج المسلمين منها - إبان القرن الثاني عشر الميلادي - شرع بعض رجال الكنيسة الكاثوليكية في تعزيز التفوق العسكري الميداني للنصرانية من خلال شن حرب ثقافية .

ومن بين الرموز التي رعت هذا التوجه الراهب ( بييرموريس دي مونتبوسير ) - الملقب ببطرس المكرم - الذي كان وراء ظهور أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية في العام ٥٣٧هـ / ١١٤٣م ، وكلف بهذه المهمة المترجم الإنجليزي ( روبرت أوف كيتون ) <sup>٢</sup> .

وقد ورد في هذه الترجمة رسم متخيل لصورة نبي الإسلام يستوحى من خلاله أن مبادئ هذه الديانة لا تعدو أن تكون أفكاراً شيطانية ، ولم يقف ( بطرس المكرم ) عند هذا الحد بل قام بالتعليق على تلك الترجمة من خلال رسالة أسماها " الأدلة على الهرطقة المحمدية البغيضة المضرة " <sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> الإسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ، ص ٥٢ ، ترجمة : عمر فروخ ، نقلاً عن : واقعنا المعاصر ، أ/ محمد قطب ، ص ١٩٢ ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر - جدة .  
<sup>٢</sup> انظر : الغارة على العالم الإسلامي وصدام الحضارات ، د/ ربيع بن محمد بن علي ، ص ٤٤ ، الطبعة الأولى ، موقع صيد الفوائد الإلكتروني ( كتاب ) .  
<sup>٣</sup> انظر : إشكالية فهم الآخر بين الغرب والإسلام ، أ/ عادل لطيفي ، موقع الجزيرة الإلكترونية ( مقال ) .

هذه البداية جعلت الهدف من انفتاح الآخر على الإسلام هو التأسيس الفكري لتعارض وليس الفهم ، فقد أحدثت تلك الترجمة المشوهة لمعاني القرآن الكريم - التي قام بها ( روبرت أوف كيتون ) لحساب بطرس المكرم - تأثيراً واسعاً على الفهم الأوربي المشوه للإسلام امتد حتى القرن الثامن عشر الميلادي ، فقد ظلت تنتشر مخطوطاتها حتى قام عالمان سويسريان بطباعتها في بازل سنة ١٥٤٣هـ/ ١٥٤٣م ، وعن هذه الترجمة اللاتينية قام ( أريفاييني ) الإيطالي بترجمتها إلى الإيطالية سنة ١٥٤٧هـ/ ١٥٤٧م ، وعن هذه الترجمة الإيطالية قام ( سالمون اشفجر ) بترجمتها إلى الألمانية سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م ، وعن هذه الترجمة الألمانية ترجمت إلى الهولندية سنة ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م<sup>١</sup> .

ثانياً : الاستشراق :

حين فشلت الحملات الصليبية في تحقيق أهدافها المتمثلة في وقف المد الإسلامي نشأ الاستشراق ؛ وهو تيار فكري تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته<sup>٢</sup> . وقد أسهم الاستشراق في صياغة التصورات الغربية عن الإسلام حتى كان بمثابة المورد الفكري الرئيس لإنتاج وتناول الصور المشوهة عن الإسلام ؛ إذ كانت الغاية الحقيقية من ورائه هي معرفة الإسلام لمحاربتة وتشويهه وإبعاد النصارى عنه وإظهاره في مظهر العدو الخطر المخيف .

يقول المستشرق ( كانتول سميث ) - في كتابه الإسلام في التاريخ الحديث - :  
" إلى أن قام كارل ماركس وقامت الشيوعية كان النبي محمد هو التحدي الوحيد للحضارة الغربية الذي واجهته في تاريخها كله ، وإنه لمن المهم أن نتذكر كم كان هذا التحدي حقيقياً ، وكم كان يبدو في بعض الأوقات تهديداً خطيراً حقاً"<sup>٣</sup> .  
ويقول المستشرق البريطاني ( وليم موير ) : " إن سيف محمد والقرآن هما أكثر الأعداء الذي عرفهم العالم حتى الآن عناداً ضد الحضارة والحرية الحقيقية"<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> انظر : الغارة على العالم الإسلامي وصراع الحضارات ، د/ ربيع بن محمد بن علي ، ص ٤٦ .  
<sup>٢</sup> الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ٣٣ ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ - الرياض .  
<sup>٣</sup> الغارة على العالم الإسلامي وصراع الحضارات ، د/ ربيع بن محمد بن علي ، ص ١٦ .  
<sup>٤</sup> الإعلام في العالم الإسلامي ( الواقع ... المستقبل ) ، أ/ سهيلة زين العابدين حماد ، ص ٢٦ ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ، مكتبة العبيكان - الرياض .

وقد اتسمت الكتابات الاستشراقية المبكرة - تحديداً - بأن كانت من النوع المتعصب والحاقد جداً حتى إن بعض الباحثين الغربيين في العصر الحاضر كتب نقداً لاستشراق العصور الأوربية الوسطى كما فعل ( نورمان دانيال ) - في كتابه الإسلام والغرب - فقد أشار إلى أن حقد المستشرقين الأوائل وسوء فهمهم للإسلام ما زال يؤثر في موقف الأوربيين من الإسلام<sup>١</sup> .

ولا يعني هذا سلامة المستشرقين المعاصرين مما وقع فيه أسلافهم إذ ما يزال المساق الأكاديمي المتحكم في مجال الدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية متحيزاً ضد الإسلام من خلال وصفه بأنه دين عنصري ونظري ومتخلف وغير قادر على التفكير التحليلي<sup>٢</sup> .

ثالثاً : التنصير :

وهو "حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب"<sup>٣</sup> .  
ولتحقيق هذه الغاية عمد المنصرون - أفراداً ومؤسسات - إلى إظهار الإسلام والمسلمين في صورة العدو اللدود لا للنصرانية فحسب بل لجميع مظاهر الحياة والمدنية والتحضّر .

يظهر ذلك بجلاء لمن تأمل ما يصدر عن أولئك المنصرين من أقوال وما يتبنونه من شعارات ، ومن أمثلة ذلك :

١- يقول ( وليم جيفورد بالكراف ) : " متى تواری القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه "<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> انظر : الإسلام والغرب ، نورمان دانيال ، ص ٩ ، نقلاً عن : الاستشراق ، د/ مازن بن صلاح مطبقاني ، ص ٧ ، موقع صيد الفوائد الإلكتروني (كتاب).

<sup>٢</sup> انظر : الدراسات الإسلامية في الجامعات الأمريكية ، أ/ خالد يحيى بلانكشيب ، ص ٢٤-٢٨ ، نقلاً عن : بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر ، د/ مازن بن صلاح مطبقاني ، ص ٥٤ ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ، موقع صيد الفوائد الإلكتروني ( كتاب ) .

<sup>٣</sup> الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ١٥٩ .

<sup>٤</sup> الغارة على العالم الإسلامي ، ص ٩٣-٩٤ ترجمة : محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ ، الدار السعودية للنشر - جدة .



٢- يقول المنصر الأمريكي ( هنري حسب ) : " المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها ، إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون ، وإن التبشير سيعمل على تمدينهم " <sup>١</sup> .

٣- يقول ( لطفي ليفونيان ) : " إن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح " <sup>٢</sup> .

٤- تعد منظمة ( رابطة الرهبان لتنصير الشعوب ) من أنشط المنظمات التنصيرية في العالم ، وهي ترفع شعار ( مليون ضد محمد ) أي تجنيد مليون منصر ينتشرون في شتى أنحاء العالم <sup>٣</sup> .

وثمة وجه آخر يمارس من خلاله التنصير أدواراً لا تقل أهمية عما سبق يتمثل ذلك في ظاهرة المنصرين التوارتيين - أمثال جراهام بل ، وبات روبرتسون ، وجيمي سواجارات - الذين يمثلون اليمين المسيحي المتطرف - وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية - والذي يعرف إعلامياً بـ ( الصهيونية المسيحية ) والحملات المسعورة التي يقودها هؤلاء المنصرون والتي تلح على ضرورة ضرب الإسلام تمهيداً لحرب (هرمجدون) المزعومة التي يقود فيها المسيح اليهود والنصارى للقضاء على المسلمين والوثنيين <sup>٤</sup> .

كل ما تقدم وغيره يجعل من التنصير أحد الأسباب المؤثرة في إيجاد حالة من الخوف والتوجس وعدم التجاوب تجاه الإسلام وجميع ماله صلة به بما في ذلك الخطاب الإسلامي .

#### رابعاً : الإعلام :

تقوم وسائل الإعلام الغربية بدور كبير في رسم الصورة العدائية للإسلام والمسلمين وتثبيتها ، وذلك من خلال عدد من المسارات أبرزها :

١- بناء صلة وثيقة بين كل ما هو إسلامي وبين أفكار وأفعال العنف والإرهاب واحتقار حياة الإنسان وحقوقه ، وفي هذا السياق يتم اختزال الإسلام - ديناً وثقافة وحضارة - في صور بعض الأشخاص المدججين بالسلاح والمهددين

<sup>١</sup> الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ١٦١-١٦٢ .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

<sup>٣</sup> انظر : مجلة المستقبل الإسلامي ، ص ٣٤ ، العدد ١٥٨ جمادى الآخرة ١٤٢٥ هـ ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض

<sup>٤</sup> انظر : الإسلام والآخر ( الحوار هو الحل ) ، أحمد شفيق ، ص ٣-٤ ، موقع صيد الفوائد الإلكتروني ( كتاب ) .

بزرع الموت في كل مكان ، أو صور مجموعة من الرعاع المتسمين بالهمجية والتخلف .

٢- الترويج للنسق الغربي على أنه الإطار الوحيد الذي يمكن من خلاله فهم الوجود الإسلامي والإخبار عنه ، وبالتالي أصبح الإعلام الغربي هو المصدر الإعلامي لفهم الإسلام ، وهذا ما أوضحه ( نوبو أكي نوتوهارا ) - في كتابه العرب من وجهة نظر يابانية - حيث قال : " ... في البداية كررنا ما قاله الاستشراق الغربي ، لم يكن عندنا مصدر آخر للمعلومات ، أحسنا أنهم لا يقولون الحقيقة أحياناً ، والقضية الفلسطينية مثال ممتاز على ذلك ... حتى الصحافة عندنا كانت تقدم القضية الفلسطينية لليابانيين نقلاً عن الإعلام الأمريكي والأوروبي ، أما الآن تغيرت الصورة ... لقد فهمنا أن علينا أن نستقبل الكتابات الغربية بحذر وتدقيق وحيطه ... " <sup>١</sup> .

٣- أصدرت مؤسسة ( رنيميد ترست ) - البريطانية - تقريراً عما وصفته بالموبقات السبع في تكريس مفهوم الإسلاموفوبيا - أو الخوف من الإسلام - ، وقد أكد التقرير على دور وسائل الإعلام في تكريس هذا المفهوم عبر الادعاء بأن الإسلام عدو للغرب ، ويمثل تهديداً للثقافة الغربية ، ولا سبيل لمقاومته إلا بتغييره ، والترويج لمصطلح الإسلاموفوبيا على أنه خليفة للنازية والشيوعية ، وأنه يتضمن رموزاً من هذين الفكرين وبخاصة فيما يتعلق بموضوعي الغزو والتسلل لنشر الفكر بين أتباع الثقافات الأخرى <sup>٢</sup> .

وبهذا يظهر جلياً أثر الإعلام في زرع المواقف غير المتجاوبة مع الخطاب الإسلامي لدى الآخرين ، وإذا عرف السبب بطل العجب إذ تسيطر الصهيونية العالمية على أهم وسائل الاتصال العالمية - المسموعة والمرئية والمقروءة - وأوسعها انتشاراً وأكثرها شعبية <sup>٣</sup> .

### خامساً : المناهج التعليمية :

<sup>١</sup> صورة المسلمين والعرب في العالم ، إعداد : خلود العيدان ، منيرة الدهش ، موقع الإسلام اليوم الإلكتروني ( مقال ) .  
<sup>٢</sup> انظر : كراهية الإسلام ( تحديات ومواجهات ) ، د/ محمد البشاري ، ص ٥ ، بحث مقدم إلى الدورة الثامنة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي - كوالالمبور ( ماليزيا ) ، في الفترة ٢٤-٢٩/٦/٢٠٠٤ هـ .  
<sup>٣</sup> انظر : الإعلام في العالم الإسلامي ( الواقع .. المستقبل ) ، أسهيلة زين العابدين حماد ، ص ٤٤ وما بعدها .

يتضح أثر المناهج التعليمية في صياغة المواقف غير المتجاوبة مع الخطاب الإسلامي لدى الآخر غير المسلم من خلال ترسيخ عدد من المفاهيم الخاطئة لدى الناشئة ، ومن ذلك :

١ - غرس الاتجاه لرفض الآخر المسلم ، على أساس أنه مختلف عن الإنسان الغربي ، وعدم تفهم دوره في التاريخ وقيمة هذا الدور .

ففي دراسة للدكتورة فوزية العشماوي عن الكتب المدرسية في المناهج الأمريكية والأوروبية أكدت أن ما يتعلمه التلاميذ عن الإسلام والعالم الإسلامي لا يزيد عن ٣٪ من المقرر الدراسي ، ويكون الجزء المخصص للعالم الإسلامي - غالباً - في إطار بلاد العالم الثالث جغرافياً وتاريخياً ، أو في إطار توزيع الثروات الطبيعية في العالم وبخاصة البترول ، بينما تجعل تلك المناهج من أوروبا وأمريكا المحور الذي تدور حوله الأحداث التاريخية المهمة ، ويتم التركيز في هذا السياق على الأحداث التي تبرز تفوق الغرب وانتصاره على المسلمين<sup>١</sup> .

٢ - إظهار المسلمين في صورة الغزاة المتوحشين الذي يثيرون الرعب ويمثلون تهديداً لجيرانهم .

ففي دراسة أخرى للدكتورة فوزية العشماوي - قامت بها تحت إشراف اليونسكو - عن صورة المسلم في كتب التاريخ في نهاية المرحلة الابتدائية في فرنسا وإسبانيا واليونان ، ظهر أن تدريس الإسلام يبدأ - في أغلب الأحيان - بذكر الانتشار السريع المخيف للإسلام بالغزوات - في صدر الإسلام - ثم بالفتوحات - في القرنين السابع والثامن الميلاديين - ، وكيف أن جيوش المسلمين زحفت إلى أوروبا واكتسحت تلك البلاد واستولت عليها بقوة السيف ونهبت الأموال والثروات إلى أن هزم المسلمين على يد ( شارل مارتال ) في معركة بواتيه - بلاط الشهداء - جنوب فرنسا عام ٧٣٢م<sup>٢</sup> .

٣ - إغفال فضل العلماء والمفكرين والفلاسفة المسلمين على النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر الميلادي .

<sup>١</sup> انظر : الإسلام والآخر ( الحوار هو الحل ) ، أ/ حمدي شفيق ، ص ١٢ . ظاهرة كراهية الإسلام ( تحديات ومواجهات ) ، أ.د/ جعفر عبد السلام ، ص ١١ ، بحث مقدم إلى الدورة الثامنة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي ، كوالالمبور ( ماليزيا ) ، في الفترة ٢٤-٢٨/٦/٢٠١٤ هـ .

<sup>٢</sup> انظر : الإسلام والآخر ( الحوار هو الحل ) ، أ/ حمدي شفيق ، ص ١٢-١٣ .

يقول ( الأمير تشارلز ) - في محاضرته التي ألقاها في جامعة أكسفورد بعنوان الإسلام والغرب - : " ... حاول الغرب تشويه الإسلام عن طريق سوء الفهم لتطبيق الشريعة الإسلامية التي هي عدل ورحمة ، ... وكذلك عن طريق جهل أو تجاهل إسهامات المسلمين في بناء الحضارة الغربية ... " <sup>١</sup>

سادساً : توظيف المصطلحات في الصراع الحضاري :

تعد المصطلحات أحد أدوات الصراع الحضاري والفكري بين الأمم ، وإنما كان المصطلح أداة في الصراع لأنه الوعاء المعبر عن الفكر ولذا فإن إفساده أو تغييره يمثل خطورة كبرى على الآراء أو الأفكار لأي أمة أو مبدأ أو مذهب <sup>٢</sup> .

وإن من أبرز مجالات تسخير المصطلح في الصراع الحضاري جلب الألفاظ والمصطلحات التي هي أعلام على معان سيئة وإسقاطها على الفكر أو الرأي المخالف لتغيير الناس منه ، وهو ما شهده العصر الحديث من خلال تقديم الغرب لعدة مصطلحات ولدت في بيئته ، وتحمل معاني ومفاهيم خاصة بالغربيين ولها خلفية تاريخية منفرة لديهم وإسقاطها على المسلمين ؛ الأمر الذي أسهم في تشكيل العديد من المواقف غير المتجاوبة مع الإسلام والخطاب الإسلامي .

يقول محمد أسد : " إنه من باب التضليل المؤذي إلى أبعد الحدود أن يحاول الناس تطبيق المصطلحات التي لا صلة لها بالإسلام على الأفكار والأنظمة الإسلامية ، إن للفكرة الإسلامية نظاماً اجتماعياً متميزاً خاصاً بها وحدها ، يختلف من عدة وجوه عن الأنظمة السائدة في الغرب ، ولا يمكن لهذا النظام أن يدرس ويفهم إلا في حدود مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة ، وإن أي شذوذ عن هذا المبدأ سوف يؤدي حتماً إلى الغموض والالتباس بدلاً من الوضوح والجلء " <sup>٣</sup> .

وفيما يلي مثالان يشهدان لما قرناه هنا :

**الأول :** مصطلح ( الأصولية ) الذي نشأ في الغرب وارتبط ارتباطاً وثيقاً بالتراث اليهودي المسيحي من حيث إشارته إلى عهد سيادة الكنيسة على مقاليد

<sup>١</sup> الملكة راعية الكنيسة هل أعلنت حرباً رسمية على الإسلام ؟ ، / زين العابدين الركابي ، صحيفة الشرق الأوسط ، ص ١٩ ، العدد ١٠٤٣٤ ، السبت ١٤٢٨/٦/٨ هـ .

<sup>٢</sup> انظر : توظيف المصطلح في الصراع الحضاري ( مصطلح الإرهاب أنموذجاً ) ، / عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ص ٣٠٩ ، مجلة جامعة الإمام ، العدد ( ٤٤ ) شوال ١٤٢٤ هـ . مجلة البيان ص ٨-٤ ، العدد (٩) ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ .

<sup>٣</sup> منهاج الإسلام في الحكم ، محمد أسد ، ص ٥٢ ، ترجمة منصور أبو ماضي ، نقلاً عن : توظيف المصطلح في الصراع الحضاري ( مصطلح الإرهاب أنموذجاً ) ، / عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ص ٣١٤ ، مجلة جامعة الإمام العدد (٤٤) .

الأمر إبان القرون الأوربية الوسطى حتى أضحى علماً على التيار الشاذ المخالف للمبادئ العقلية.

وعليه فإن المتلقي الغربي الذي تصله صفة ( الأصولية الإسلامية ) فإن مرجعياته المفاهيمية ستلجأ إلى ذلك التاريخ الكنسي المرتبط بقهر التقدم العلمي والإنساني ، ومن ثم ستصله دلالات جامدة ومقيدة ومتخلفة عن الإسلام<sup>١</sup>.

**الثاني :** مصطلح ( الإرهاب ) الذي شغل الناس وبات يهدد مصالحهم ، وقد منح الغرب هذا المصطلح إمكانات كبيرة جداً تتجاوز حقوق الإنسان وتعطل بعض القوانين ، وأضحى علماً على الإسلام والمسلمين<sup>٢</sup>.

وحرى بالقول - في هذا المقام - أن استخدام المصطلحات في ميدان الصراعات الفكرية ليس أمراً حادثاً أو مستجداً - وإن علا شأنه في هذا العصر أكثر من غيره - فهاهو الإمام ابن القيم - رحمه الله - يقول : "... وإذا تأمل العاقل الفطن... رأى أكثر الناس يقبل المذهب والمقالة بلفظ ويردها بعينها بلفظ آخر ... وكم رد من الحق بتشييعه بلباس من اللفظ قبيح " <sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> انظر : الخطاب الإسلامي المعاصر بين الأصولية والإرهاب ، د/محمد سالم سعد الله ، موقع صيد الفوائد الإلكتروني ( مقال ) .

<sup>٢</sup> انظر : المصدر السابق .

<sup>٣</sup> مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ، ( ٤٤٣/١ - ٤٤٤ ) ، تحقيق : علي بن حسن الحلبي الأثري ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع - الخبر .

## المطلب الثالث : الأسباب ذات الصلة بعوامل أخرى :

إن ثمة أسباباً أسهمت في صياغة مواقف الآخرين غير المتجاوبة مع الخطاب الإسلامي ، وهذه الأسباب – عند التأمل – لا يمكن عزوها إلى الخطاب نفسه ولا إلى الآخر ، بل إنها تتصل بعوامل أخرى ورغم ذلك فإن لها أثراً لا بد من الوقوف أمامه والبحث فيه.

ومما يندرج تحت هذا النوع من الأسباب أمران هما :

**الأول : اختلال ميزان القوى العالمي.**

**الثاني : أحداث الحادي عشر من سبتمبر.**

وتفصيل الكلام في هذين السببين على النحو الآتي :

**الأول : اختلال ميزان القوى العالمي:**

بعد انهيار المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي تحولت قيادة العالم إلى المعسكر الغربي وانفرد بذلك القطب الواحد باعتباره الأقوى اقتصادياً وعسكرياً وتقنياً.

هذا الاختلال في ميزان القوى العالمي وما نتج عنه من استقلال القطب الواحد في إدارة شؤون العالم وبسط هيمنته عليه وإن كان في ظاهره شأنًا سياسياً إلا أنه حمل في طياته تبعات كان تأثيرها فيما نحن بصدده واضحاً بل بالغاً وفاعلاً ، فقد وجه الغرب سهامه نحو الإسلام والمسلمين باعتباره العدو الجديد الذي يهدد الغرب ومصالحه ، وسارعت مراكز الدراسات والبحوث في إعداد الدراسات وصياغة النظريات التي تشوه صورة المسلمين وتاريخهم وحضارتهم ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك :

١- الترويج للعولمة التي يراد بها من حيث الحقيقة تعميم نموذج حضاري وثقافي

واقتصادي على جميع الشعوب ، وهو نموذج مصدّر من الدولة الأقوى في

العالم استناداً إلى الإمكانيات الاقتصادية الضخمة ، والتقدم التقني الهائل في

مجالات الاتصالات للتأثير في الدول الأخرى ثقافياً وأخلاقياً بغرض اختراقها

مع ما يستتبع ذلك من فقدان الشعوب لهويتها وخصوصيتها وذوبان شخصيتها<sup>١</sup>.

٢- نظرية نهاية التاريخ للكاتب الأمريكي - ذي الأصل الياباني - (فونسيس فوكو ياما) التي قدمها في كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" وفيها يرى أن الإسلام يصعب أن يتكيف مع المذهب الليبرالي وأن يعترف بالحقوق العالمية وبخاصة حرية الفكر والديانة، كما يشبه الأصولية الإسلامية التي تسعى إلى إحياء الإسلام بالأصولية المسيحية التي تحن إلى المسيحية في الغرب<sup>٢</sup>.

٣- نظرية صراع الحضارات للكاتب الأمريكي (صموئيل هنتنجتون) - الأستاذ في جامعة هارفرد - التي قدمها في كتابه "صراع الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" وفيها يرى أن الحضارة الإسلامية ذات طبيعة دموية وأن الإسلام والمسلمين هم الأعداء الألداء للغرب وأن الصراع سيقوم بين الحضارة الغربية من جهة والحضارة الإسلامية المتحالفة مع الحضارة الكنفوشية من جهة أخرى<sup>٣</sup>. وهكذا فإن الخوف من الإسلام واعتباره العدو أصبح قائماً على أسس نظرية متكاملة، ذات جذور تاريخية، اكتملت وتبلورت على أيدي أرباب الدراسات والنظريات.

### الثاني : أحداث الحادي عشر من سبتمبر :

لعبت التفجيرات الإرهابية التي استهدفت برجى التجارية العالمية في مدينة نيويورك يوم ١١/٩/٢٠٠١م - وكذا ما شاكلها كتفجيرات قطار الأنفاق في مدينة لندن يوم ٧/٧/٢٠٠٥م - دوراً مباشراً في إيجاد مواقف غير متجاوبة لدى الآخر مع الخطاب الإسلامي.

يظهر ذلك في الآثار الناجمة عن تلك التفجيرات الإرهابية والتي اتخذت

شكلين رئيسيين هما :

١- تشويه صورة المسلمين .

<sup>١</sup> انظر : تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف ، /أ/ محمد بن شاكر الشريف ، ص٨٩ ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - الرياض.

<sup>٢</sup> انظر : نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، أ.د/ عمر بن سليمان الأشقر ، ص١٦٥-١٦٧ ، الطبعة الثانية عشرة ١٤٢٣هـ ، دار النفائس - الأردن.

<sup>٣</sup> انظر : نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، أ.د/ عمر بن سليمان الأشقر ، ص١٦٧-١٦٩ . الإسلام والآخر (الحوار هو الحل) ، /أ/حمدي شفيق ، ص٨-١١.

٢- تغذية ذهنية الكراهية تجاه الإسلام والمسلمين<sup>١</sup> ، فقد تحولت الرسالة السياسية والإعلامية في الحس الشعبي الغربي إلى اتهام للإسلام كدين ، وتنامت الاعتداءات ضد المسلمين ، وأضحى الخطاب الغربي الرسمي أكثر عدوانية.

---

<sup>١</sup> انظر : كراهية الإسلام (تحديات ومواجهات) ، د/ محمد البشاري ، ص ٣-٤.



## **المبحث الثالث : العلاج :**

بناء على ما تقدم فإن الرؤى المقترحة لعلاج مواقف الآخرين غير المتجاوبة مع الخطاب الإسلامي ستتناول جانبين ؛ الأول يتصل بالخطاب الإسلامي ، والثاني يتصل بالآخر .

وعليه فالكلام هنا في مطلبين :

**المطلب الأول :** الرؤى ذات الصلة بالخطاب الإسلامي .

**المطلب الثاني :** الرؤى ذات الصلة بالآخر .

## المطلب الأول : الرؤى ذات الصلة بالخطاب الإسلامي :

مما لا شك فيه أن الخطاب الإسلامي المعاصر في حاجة إلى تطوير وتجديد كي يكون فاعلاً ومؤثراً .

وعند النظر فإن هذا التطوير والتجديد لا بد أن يشمل - بشكل رئيس - جوانب ثلاثة هي : مادة الخطاب ، وصياغته ، ووسيلته .

ونعني بمادة الخطاب : المضمون الذي يتناوله .

وبصياغته : شكل الخطاب ولغته وأسلوبه .

وبوسيلته : آلية التواصل مع من يستهدفه الخطاب .

وتأسيساً على هذا تعرض الورقة جملة من الأفكار والطروحات للنهوض بالخطاب الإسلامي في جوانبه الثلاثة سالفه الذكر .

أولاً : فيما يتصل بمادة الخطاب الإسلامي :

- الإيمان بأن المراجعة والرجوع سنة ماضية ، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ؛ فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إني لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها" .

- تنويع مضمون الخطاب الإسلامي بين الوعظ والفقهاء والأخلاق والتربية والسياسة والاقتصاد والاجتماع فالشريعة الإسلامية للحياة " يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم " الأنفال/ ٢٤ ، ثم إن من شأن ذلك أن يلبي حاجة الناس من جهة ويعيد الثقة للخطاب الإسلامي من جهة أخرى .

ثانياً : فيما يتصل بصياغة الخطاب الإسلامي :

- الخروج بالخطاب الإسلامي إلى العالمية ؛ وذلك باعتماد عدد من الآليات والسبل منها:

أ . استحضار البعد العالمي في الخطاب القرآني باعتباره أصلاً يستمد منه الخطاب الإسلامي مادته وأسلوبه .

ب . تناول أبرز مشكلات الواقع الإنساني في إطاره العالمي مع ملاحظة الفروق بين ما هو مشترك إنساني وما هو خصوصية حضارية .

ج . العناية بالمقاصد الشرعية وغاياتها لما لها من أثر بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات والعقائد المخالفة ، فهذه الثقافة قادرة بذاتها على إشاعة القيم الإنسانية وتركية التفاهم المتبادل الأمر الذي من شأنه أن يوطد سبل التقدير والاحترام بين المتغايرين ، ومن ثم فالثقافة المؤسسة على مقاصد الشريعة وأصولها تؤكد عالمية الإسلام وتجسد قيمه بوصفه منهج حياة يستوعب الاختلاف والتنوع بين البشر .

- مراعاة طبيعة الآخر غير المسلم في ثقافته وفكره ونفسيته بغية إجادة التعاطي معه ومن ثم التأثير فيه .

- التخلص من اللغة غير المتفائلة الطاغية على كثير من أشكال الخطاب الإسلامي .  
- الاقتناع بوجود أنواع من التعامل مع الواقع تقتضي قدرًا واسعاً من المرونة والفاعلية في أسلوب التعامل مع الخلاف وتحقيق صور من الإعذار وحسن التعاطي مع الآخر ، وفي هذا الصدد فإن تنوع الخطاب الإسلامي بين مائل نحو التشدد وخطاب ينحو منحى الاعتدال يجب اعتباره تنوعاً يفيد في التعامل والتأصيل .

**ثالثاً : فيما يتصل بوسيلة الخطاب الإسلامي :**

- توظيف وسائل الاتصال الحديثة ، وبخاصة شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) .  
- استثمار وسائل الإعلام - المسموعة والمرئية والمقرؤة - بشكل مكثف .  
- انتهاج العمل المؤسسي المنظم ، وقد يكون من المناسب في هذا الصدد إنشاء هيئة إسلامية عالمية تضم في عضويتها الفضلاء من أهل العلم والمعرفة والثقافة والفكر ، توكل إليها مهمة وضع الخطط والبرامج العلمية الشاملة لتطوير الخطاب الإسلامي بما يمكنه من مواجهة الحاضر والمستقبل .  
وسياتي مزيد تفصيل لهذه الفقرة في ثنايا المطلب اللاحق - إن شاء الله - .

## المطلب الثاني : الرؤى ذات الصلة بالآخر :

- فتح حوار حضاري وثقافي بين الإسلام والغرب ، عماده الاحترام المتبادل ، والاعتراف بالإسهامات التي قدمها كلا الطرفين .
- تكثيف الاتصال بمؤسسات الأمم الأخرى الإعلامية والعلمية والثقافية والتربوية والفكرية والحرص على متابعة أنشطتها والمشاركة فيها من خلال الكفاءات العلمية المؤهلة .
- التواصل المستمر مع المؤسسات الإسلامية داخل المجتمع الغربي ودعمها وتفعيل مناشطها وإشراك الآخر في تلك المناشط.
- العناية بالأصوات غير الإسلامية ذات الطروحات المنصفة والتي تسعى للتصحيح والمبادرة لإظهار الحقيقة - إذ في القوم من يدعم قضايا المسلمين ويشارك في محو التشويه الذي يعكر صفو الحقيقة الإسلامية - وتشجيعها عبر الإسهام في نشر ما لها من نتاج والترويج لها ، واستضافتها في المنتديات الثقافية والفكرية.
- إنشاء وكالة أنباء عالمية إسلامية على مستوى وكالات الأنباء العالمية لتنوير الرأي العام العالمي.
- إصدار صحف عالمية إسلامية وبث قنوات فضائية بمختلف اللغات العالمية توضح للرأي العام العالمي قضايانا المصرية وتاريخنا وحضارتنا الإسلامية .
- إنشاء دور نشر تهتم بترجمة كتب التراث الإسلامي والحضارة والإسلامية والتاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية إلى مختلف لغات العالم .
- إقامة المؤتمرات والندوات الإسلامية الدولية على ألا يقتصر الحضور والمشاركة فيها على المسلمين وحدهم بل لابد من إشراك الجهات غير الإسلامية الرسمية وغير الرسمية في تلك المؤتمرات والندوات والدول المتقدمة خاصة دول مؤسسات بالدرجة الأولى وتلك نقطة مهمة تنبغي مراعاتها.
- وفي مقابل هذا كله فإن على الآخر أن يعيد ترتيب طريقتة في تناول الخطاب الإسلامي ، كما أن تلك الصفات الجاهزة الجائرة للخطاب الإسلامي كالمتشدد والعنفي والاستبدادي ونحوها لم تعد تنطلي على طلاب الحقائق وشركاء الحق لاسيما في ظل وجود ألوان من الخطاب الإسلامي المعتدل.

## الخاتمة

في ختام هذه الورقة أجزم أنني لم أوف هذا الموضوع حقه من البحث والمناقشة وإنما هي أفكار ورؤى أضعها بين يدي المهتمين بقضايا الخطاب الإسلامي عليها تسهم في فتح آفاق جديدة من النقاش والمدارسة .

إن الهجمة الشرسة التي يتعرض لها ديننا فكراً وخطاباً وثقافةً وحضارةً ينبغي أن تكون حافزاً نحو مزيد من البذل والعطاء فهي دليل الفاعلية والنجاح إذ لا يرجم إلا مثمر الشجر وهذا ما شهد به الآخر نفسه ؛ يقول ( نورمان دانيال) - في كتابه الإسلام والغرب - : " كلما تركز الإسلام واتسع نفوذه ازدادت الحملة عليه من الكتاب الغربيين " <sup>1</sup> .

إن بإمكان المسلمين أن يقدموا نموذجاً أكثر إغراء وجاذبية من النموذج الذي يتبناه هذا الآخر ، كما أن لدى الآخر أصواتاً ما زالت تبحث عن طريق يخرجها من مأزقها المعاصر ، وأقلاماً تواقعة لغد أفضل ، وهذه الأصوات والأقلام ليست من عوام القوم بل من الذين يملكون ناصية القرار العلمي والثقافي في كثير من المراكز الغربية . هذا ما تيسر والله ولي التوفيق وكفى بربك هادياً ونصيراً عليه توكلت وإليه أنيب .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .،،،

<sup>1</sup> انظر : مناقشة هادئة على محاضرة الباب بنديكت السادس عشر ، أ/ كامل الشريف ، موقع المنتدى الإسلامي العالمي للحوار على الشبكة العنكبوتية (مقال) .